

ظهور الإسلام

المستشرق الإنجليزى (ستيفن رانسيمان)

عبر صهر الأستاذ عبر الموجود عبر الحافظ

فى الحركات الكبيرة التى غيرت وجه التاريخ ، لم يحدث أن أحرزت واحدة منها على اختلاف دوافعها ، من النجاح السريع المدهش ، ما أحرزه الإسلام ، ولمعرفة أسباب هذا النجاح ، والعوامل التى ساعدت على انتصار الإسلام وسرعة انتشاره ، لابد من الإسلام ولو سريعاً بتاريخ حياة محمد عليه السلام الذى دعا إلى هذا الدين ، فقد يدون فى هذا جلاء بعض الأمور التى تهدينا إلى ما نحن فى حاجة إلى معرفته .

ولد النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد ميلاد المسيح عليه السلام بحوالى ٥٧٠ عاماً ، فى الوقت الذى أخذت الوثنية فى الانتشار ، وبدأت أفكار بعض المسيحيين تتبلبل .

فى ذلك الوقت أخذت فكرة القوم الذين يسمون الأحناف تظهر وتنتشر بين العرب ، كما ظهر الشعراء العرب الذين دعوا إلى الوجدانية كأمية بن أبى الصلت وزهير بن أبى سلمى وغيرهما .

كان كل هذا داعياً عقلاء العرب إلى التفكير فى أمر هذه الآلهة المتعددة وخاصة فى تلك المدينة التى تتأخم العالم المتدين والتى تتمتع بمكانة متنازة بين مدن شبه الجزيرة العربية ، لأن فيها ذلك البيت المقدس الذى كانت تتجه إليه أنظار كثير من الناس فى جميع أنحاء الجزيرة ، بل وفى بعض الجهات المحيطة بها .

وقد كان مولده فى أسرة من أسر هذه المدينة ، ذات مكانة مرموقة وشأن معروف ، إذ كان منها المشرفون على السكبة والقائمون بالعمل فيها .

فلما بلغ سن الأربعين من عمره اختاره ربه ليُبشّر الناس بدينه الجديد ويدعوهم إلى التعاليم السبوية التى كادت أن تنسى بين الناس : وكان أول من وجه إليهم الدعوة هم أهله وعشيرته الأقربون .

وكل دعوة جديدة ، لقي محمد (عليه السلام) من قومه صلابة وعناداً ، ومكراً واستكباراً ، ولكنه ثابر على دعوته متجعلاً أذاهم ، حتى انضم إليه بعض أشرف قومه وكثير من المستضعفين الذين زادوا في مسؤوليته :

ولما اشتد عليه وعلى من اتبعه الإيذاء أمره ربه بالهجرة في حوالى سنة ٦٢٢ ميلادية ، فهاجر من مكة إلى المدينة ، بعد أن ضمن له أنصاراً ينصرونه .

تلك الهجرة التي يؤرخ بها المسلمون تاريخهم .

هناك استجاب القوم لدعوته والتفوا حوله وأعانوه على نشر دينه سواء من قدم من مكة مهاجراً أو من هو من أهل المدينة ، وبهؤلاء وأولئك استطاع التغلب على جميع من ناهضوه في الجزيرة العربية ، وصار الزعيم الأكبر للبلاد العربية ، النافذ الكلمة المطاع الأمر .

ولما حضرته الوفاة بعد الهجرة بعشر سنوات ، كانت جيوشه قد أخذت أهيبتها لتجتاز حدود الجزيرة العربية إلى ما جاورها من البلدان والممالك .

ولم تتوقف هذه الجيوش إلا بمقدار موت إنسان وتولى الأمر غيره .

وقد يدهش الإنسان للسرعة التي تم بها تولى الحكم بين هؤلاء العرب الذين كان ينشب بينهم القتال لأنفه الأسباب .

* * *

ولم تمض سنوات تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة حتى سقطت الشام والعراق في أيدي المسلمين .

وفي سنة ٦٥٠ م استولوا على مصر ، وأخذت الدولتان الكبيرتان اللتان كانتا تحيطان بالجزيرة العربية تنكشان سريعا ، وقبل أن تأتى سنة ٧٠٠ م كانت الامبراطورية الإسلامية تمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى نهر السند شرقا .

ولم يكتف المسلمون بذلك بل واصلوا زحفهم سنين طويلة حتى وقفت جيوشهم على أسوار القسطنطينية .

وقد عرف المسلمون كيف ينشرون دينهم إلى أن وصل إلى بلاد التركستان وأندونيسيا شرقا ، وافتحموا مجاهل أفريقيا تلك البلاد التي كانت لا تزال سرا

غامضاً يخشى الاقتراب منها الكثيرون ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه
وصلوا إلى قلب أوروبا نفسها .

ونستطيع أن نرجح هذا النجاح السريع المدهش إلى أسباب منها :

عبقريته الخالقة :

المؤرخون الذين أرخوا للشرق يقولون إن للتاريخ الشرقى خاصية تجعلنا نعجز
عن تحديد الدوافع والنتائج التي ترتبت عليها .

والشرق مهد الديانات ومهبط الرسل ، وفيه ظهرت المعجزات ، فعيسى عليه السلام
واديانته ومعجزاته ، وموسى وداود وغير هؤلاء كثير من الذين ضمهم الشرق وكان له
شرف الخطوة بهم .

وقد لقي هؤلاء جميعاً في سبيل نشر دعوتهم كثيراً مما لا يقل عما قاساه محمد (عليه
السلام) في سبيل نشر دعوته . لقي هؤلاء من قومهم ومن غير قومهم العنت الشديد ،
كما لقي محمد عليه السلام ولكن دعوات هؤلاء الرسل كانت تزحف ببطء شديد ، بل
إن بعضها كاد أن يتوقف بموت نبيها ، بعكس ما حدث في دعوة محمد ، فقد تم
انتشارها على نحو عجيب فيه شيء كثير من خصائص المعجزة مما يجعلنا نقول
مع المسلمين إن الله كان يريد حقاً أن ينصر عباده المخلصين وأن يتوج أعمالهم
بالنجاح .

وقد كان لشخصية محمد حلت في العالم أثر في سرعة انتشار الإسلام إنكاراً
يعرف كسر دعوتيه على الأرض . ومن لم يستجب لها كان
حقيقاً من العجزة وقوة الشخصية .

فحمد عليه السلام من أولئك العباقرة الموهوبين بين القلائل ، الذين ظهروا دون
أن يخضعوا لقانون على أو قاعدة معروفة ، مما كان متعارفاً عليه بين بني عصره ،
فهو صاحب عبقرية فريدة في نوعها ، ومع أنه كان يحس بعبقريته ، إلا أنه لم يكن
مغروراً ككثيرين غيره من العباقرة الذين لم يبلغوا ما بلغ ، وبالرغم من وثوقه
بنفسه وبإخلاصه البالغ وعميقته الراسخة ، كان يتحنن بكثير من الصفات التي تحلى
بها الأنبياء السابقون وحاول التحلي بها بعض السامعة الحكام .

ولم يترك محمد عليه السلام الحياة إلا بعد أن ترك لأتباعه قانوناً وحكومة ، يرى

الباحث فيهما إلى أى مدى كانا يستجيبان لمطالب القوم ويتمشيان مع ضرورات حياتهم ويدفعانهم إلى العمل على نشر الاسلام والدفاع عنه .
 وفى مقدور الباحث المنصف أن يقول إن عمداً - عليه السلام - كان من المعلمين الأفاضل الذين عرفوا أطباع تلاميذهم ، ثم لقنوهم الدروس التى لم تكن فى يوم أسمى من تفكيرهم ولا أعلا من إدراكهم أو أكبر من عقولهم ، ولكنها خلقت منهم قادة ممتازين لأنها تدرجت معهم تدرجاً منطقيّاً .

وإذا قلنا إن صفات محمد الشخصية النادرة هى التى استطاعت أن تحرز له هذا النصر المؤزر فى شبه الجزيرة العربية ، فكيف يمكننا أن نعلل أسباب الغزو اليسير اللين الذى قام به خلفاؤه من بعده ، واستطاعوا به أن يملكوا نصف العالم المتمدن وأن ينتصروا بجيوشهم القليلة على الجيوش الكثيرة العدد والعتاد ؟ والتى يقودها أناس شهد لهم التاريخ بالدراسة العسكرية والشجاعة .

كل ساكن يعرفه النبي محمد عن البلاد التى تقع خارج جزيرة العرب والتى تحيط بها جاءه عن أحد طريقين :

أما مشاهداته الشخصية يوم أن سافر مع عمه أول مرة ، وأيام أن كان يشتغل بالتجارة بين الحجاز والشام كغيره من العرب .

أو عن طريق المعلومات التى كان ينقلها اللاجئون من المسيحيين واليهود الذين فروا بديانتهم من الاضطهادات المتعددة ، وجاءوا يستوطنون بلاد العرب .
 فإذا كان محمد عليه السلام قد انتصر وحقق ما جاء من أجله داخل بلاد العرب وخارجها ، لأنه أدرك ببصره النافذ رغبات هؤلاء الناس ، فإن هذا يعتبر عملاً لا مثيل له .

ولذا كانت هذه الناحية تحتاج إلى دراسة فإن هنالك نواح كثيرة من حياة النبي محمد تحتاج إلى مثل هذه الدراسة .

فنحن فى حاجة إلى أن ندرس كيف استطاع أن يبدع هذا الإخلاص النادر وهذه الحماسة المتدفقة فى نفوس أتباعه الذين أصبحوا نماذج لهذه الصفات والمواهب النادرة التى تجلت فى الزعماء المسلمين الذين اصطنعهم محمد عليه السلام على عينة أمثال الخليفة عمر بن الخطاب والقائد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وكثيرين غيرهم ممن ملأت سيرتهم سمع الدنيا وخلدهم التاريخ .

والحق إن هذا الحماس المتدفق وهذه السياسة الفريدة التى أذهلت الناس لم يكن يقدر لها النجاح فى نصف العالم المتمدن لو لم يكن العالم مستعداً لقبولها . ولو لم تكن تحمل فى جوهرها زائداً طيباً صالحاً من الحق والخير .

المجلس الصوفي الأعلى

وإصلاح الموالد

نظر المجلس موضوع الاحتفال بالموالد على اختلاف أنواعها والصورة التي تقدم بها والشوائب التي تحيط بها .

وبعد دراسة مستفيضة لهذا الموضوع لاحظ المجلس أن الجهات الحكومية تؤجر أرضا مخصصة لإقامة الموالد لأصحاب دور اللهو والرقص وأصحاب الحرف وهذا من شأنه إفساد الغرض الرئيسي من إقامة الموالد فضلا عن مخالفته لروح الاسلام وتعاليمه .

كما لاحظ المجلس أن كثيرا من الدخلاء على الصوفية وادعياء التصوف يقومون بمزاولة العادات السيئة المناهية للاداب الشرعية والتعاليم الصوفية مرتكبين شر البدع والمنكرات .

ولكي تؤدي هذه الموالد رسالتها وتحقق الغرض من إقامتها :

قرر المجلس تخويل السيد صاحب السماحة شميخ مشايخ الطرق الصوفية سلطة المجلس في الاتصال بالجهات الحكومية لمنع كل ما يسيء إلى هذه الموالد وقدسيةها ، كما قرر المجلس تخويل سماحته سلطة المجلس في إصدار القرارات اللازمة لتسكين لجان المراقبة بساحة الموالد وتطبيق مواد اللائحة الصوفية وفرض العقوبات المنصوص عنها بحق الخارجين على التعاليم الصوفية والدخلاء عليها وادعياء التصوف ، وتعتبر القرارات التي يصدرها سماحته بمثابة القرارات الصادرة من المجلس الصوفي الأعلى واجبه التنفيذ ونهاية وهازمه لسكل من يعنون بحسه بعنوان الصوفية بدون الرجوع إلى المجلس .